

العصر البابلي القديم (٢٠٠٦ - ٥٩٥ ق.م)

م. د. اريج احمد حسين

يطلق اسم العصر البابلي القديم على الفترة المحصورة ما بين سقوط سلاسة اور الثالثة ونهاية سلالة بابل الأولى، وأبرز ما يميز هذه الفترة التي استمرت أربعة قرون من الناحية السكانية تدفق الهجرات الامورية من بوادي الشام والجهات العليا من الفرات وتحطيم الكيانات السياسية في وادي الرافدين وقيام دويلات عدة متعاصرة وفتحها واستمر الوضع كذلك حتى تمكن الملك الشهير حمورابي (سادس ملوك سلالة بابل الاولى) من توحيد تلك الدويلات وتكوين امبراطورية ضمت جميع أجزاء بلاد وادي الرافدين بما في ذلك بلاد آشور كما فتحت بلاد عيلام في الشرق ومدن بلاد الشام في الغرب.

من هم الاموريون

الاموريون هم اكبر الأقسام الجزرية التي استوطنت أجزاء مختلفة من بلاد الشام منذ أبعاد عصور التاريخ، وبدأت جماعة منهم تتوغل الى الوسط وجنوب العراق سلمياً منذ نهاية الالف الثالث واولئ الالف الثاني قبل الميلاد عن طريق الفرات بشكل أفراد وجماعات مسالمة تعمل في المعابد القديمة وبعضها يعمل في الجيش وبعضهم في أعمال خدمية أخرى. وتمكنت جماعات منهم من السيطرة سياسياً على عدد من المدن التابعة لإمبراطورية اور الثالثة وكونت دويلات مدن متعاصرة وفتحارية عرفت بدويلات المدن الثانية لكل منها نظامها الخاص وسلالتها الحاكمة، واستمر الوضع كذلك الى ان تمكن الملك حمورابي من

القضاء على نظام لدويلات المدن وأعاد للبلاد نظام القطر الواحد.
ومن مميزات اولئك الاموريون أنهم استخدموا اللغة الاكدية باللهجة
البابلية القديمة، وان التشريعات (القوانين) في هذه الفترة بلغت درجة
عالية من النضج والتقدم بل ان هذه الفترة تعتبر العصر الذهبي
بالنسبة للقانون العراقي القديم إذ تم الكشف عن ثلاث من أهم
النصوص القانونية المعروفة وهي قانون لبت عشتار وقانون اشنونا
وقانون حمورابي.

١- سلالة ايسن:

مؤسسها اشبي- ايرا متخذا من مدينة ايسن (ايشان البحريات) الواقعة على مسافة ٢٨ كم الى جنوب مدينة عفك في محافظة القادسية وتلقب بملك سومر وأكد واتخذ لنفسه الصفات الالهية.

أبرز ما يقال عن حكم هذه السلالة انها استعملت اللغة السومرية في مدوناتها الرسمية يؤكد ذلك ان ملكها الخامس لبت عشتار استخدم اللغة السومرية في تدوين قانونه المعروف باسمه والذي اعتقد أنه كان يضم اكثر من مائة مادة قانونية عالجت قضايا الارث والزواج والأراضي الزراعية وعقود الايجار والتهرب من دفع الضرائب للدولة وأحوال العبيد والسرقة، وقد بقيت من تلك المواد

ما يقارب السبع وثلاثون مادة وأجزاء من مقدمتها وخاتمتها.
نهاية هذه المملكة كانت على يد ملك لارسا ريم - سين الذي
ضمها الى مملكته.

٢- سلالة لارسا:

هي المدينة التي تقع خرائبها الآن في تل السنكرة على بعد ٣٠ كم
شمال غرب الناصرية نهاية هذه السلالة كانت على يد حاكم اقليم
يموت بعل (شرق دجلة).

٣- مملكة اشنونا:

تقع هذه المملكة في الأراضي الخصبة المحصورة ما بين نهر دجلة ديالى وسفوح مرتفعات زاكروس شرقاً، وتعرف اطلالها في الوقت الحاضر تل أسمر ضمن مواقع حوض ديالى. نهاية هذه المملكة كانت على يد الملك البابلي حمورابي.

٤- سلالة ماري:

حكمت هذه السلالة في بداية الالف الثاني قبل الميلاد وامتدت نفوذها على طول نهر الفرات والخابور، وتسمى في الوقت الحاضر (تل الحريري) وتقع على الضفة الغربية لنهر الفرات قرب البوكمال وهي من أهم المراكز الحضارية التي أقامها الاموريون في سوريا والتي تعد بمثابة جسر تمر عليه موجات الهجرات الامورية

عند قدومها من الغرب الى وادي الرافدين، اضافة الى أهميتها التجارية لوقوعها على الطريق الموصل بين العراق وسوريا. نهاية هذه السلالة كانت على يد حمورابي.

٥- سلالة اشور:

عاصر مؤسس هذه السلالة شمش - ادد الاول ملك سلالة بابل الاولى سين- موبالليط ، وكانت العلاقة بينهما علاقة مهادنة ومجاملة أكثر من كونها علاقة صداقة وظلت كذلك الى ان تمكن حمورابي من ضمها الى نفوذ دولته.

٦- سلالة دير:

قامت هذه السلالة في مدينة دير (دور -انو) المتمثلة اليوم بتلول العقر القريبة من مدينة بدة الحالية ولموقعها أهمية استراتيجية لوقوعها على الحدود العراقية الايرانية.

٧- سلالة الوركاء : في مدينة الوركاء.

٨- سلالة كيش: في مدينة كيش (تل الاحيمر) قرب الحلة.

٩- سلالة سبار: في مدينة سبار (ابو حبة) قرب اليوسفية.

سلالة بابل الاولى:

وتعرف بالسلالة الامورية أيضاً، عدد ملوكها أحد عشر ملكاً حكموا ثلاثة قرون (١٨٩٤ - ١٥٩٥ ق.م).

من مميزات هذه السلالة ان الحضارة العراقية بلغت أوج عظمتها وازدهارها، إذ أصبحت اللغة البابلية لغة رسمية في بلاد الشرق القديم كافة، كما ازدهرت التجارة وشهدت أيضاً تقدم وتطور العلم والمعارف والفنون، وصارت البلاد تحكم وفق قانون واحد شرعه حمورابي وأصبح هو الأساس في الإدارة المركزية لشعوب المنطقة كافة.

أسس هذه السلالة الشيخ الاموري سومو- ابوم حيث شيد سوراً للمدينة وعمر المعابد ، وحكم أربعة عشر عاماً ولم يعقبه أحد من أبنائه، وشغل معظم سنوات حكمه في توطيد سلطته في مدينة بابل وتقوية وسائل دفاعها وحصونها، وتمكن من ضم بعض المدن المجاورة لدولته.

تعاظمت سلطة هذه السلالة في عهد ملكها الخامس سين موباليط وهو والد الملك الشهير حمورابي، كان هذا الملك معاصراً للملك ريم سين ملك لارسا، وشغل خلال أعوام حكمه العشرين في أعمال البناء وتوطيد العاصمة وعمل على تقوية سلطانه في المدن التابعة لبابل وفي عهده انتقلت مدينة بابل من موقف التريث والدفاع الى موقف الهجوم حيث استطاع ان يدحر مدينة لارسا كما هاجم مدينة اور وايسن ومهد الطريق لابنه حمورابي بالقيام بالمشاريع العسكرية وتأديب القوى المناوئة له.

ومن أبرز ما يقال عن هذه السلالة ان معظم المعلومات التي وصلتنا عن أخبار بابل لم تأت من مدينة بابل نفسها على الرغم من التنقيبات الاثرية الواسعة وذلك لأن ارتفاع مناسيب المياه الجوفية الناشئة من ارتفاع مستوى نهر الفرات القريب من المدينة قد تسبب في طمس بقايا سلالة بابل الاولى ولاسيما أدوارها القديمة، وان أغلب معلوماتنا عن تلك السلالة جاءت من مدن أخرى ومن بين ذلك الالوف من العقود التجارية والقانونية والمعاملات المختلفة بشؤون الحياة العامة ورسائل حمورابي الى حكام المقاطعات ورسائل الموظفين والإداريين والحكام اليه وشريعته المشهورة، والاعخبار الخاصة بالعلاقات التي تنشأ بين ملوك هذه السلالة وملوك السلالات الأخرى المعاصرة ولاسيما ايسن ولارسا.

حمورابي وعصره الذهبي

حكم هذا الملك في بابل اثنين واربعين سنة (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق.م) واسمه مركب من كلمتين (حمو) هو اسم اله من الالهة الشمس ويعني الحرارة، و(رابي) ومعناها الكبير أو العظيم وبذلك يكون معنى الاسم (الحرارة الكبيرة).

جمعت في شخصية حمورابي خصال فذة جعلت منه القائد والسياسي والمصلح والمشرع، فاستطاع بهذه الخصال أن ينفرد بزعامة البلاد ويحقق وحدتها السياسية. واتسعت شهرة دولته فاعترفت بنفوذها اشور في الشمال وماري في الغرب حيث مد نفوذه الى سوريا وخضعت لها المناطق الجبلية الشمالية والشمالية الشرقية من العراق.

لم تقتصر شهرة حمورابي على أعماله العسكرية بل تجاوزتها الى الإصلاحات التي قام بها ونشر الحضارة والثقافة البابلية في البلاد التي فتحها، ومن أهم أعماله الذائعة الصيت اصداره في أعوام حكمه الاخيرة قانونه الشهير لتسري أحكامه في ارجاء مملكته الواسعة والذي نظم فيه الحياة الاقتصادية والاجتماعية في البلاد حيث جمع بين القوانين المدنية والعقوبات فضلاً عن الأحوال الشخصية، وقد تم العثور على مسلته التي دونت فيها شرائعه البالغة ٢٨٢ مادة قانونية في مدينة سوسة عاصمة العيلاميين جنوب غرب ايران حوالي سنة ١٩٠٢م، من قبل البعثة الفرنسية ومحفوظة الآن في متحف اللوفر في باريس، حيث كانت تلك المسلة من ضمن الاسلاب التي استولى عليها العيلاميون أثناء غزوهم بابل في القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

كانت وفاة حمورابي إذاناً بزوال إمبراطوريته فلم يكن خلفاؤه
الخمسة من القوة وحسن الإدارة ما يمكنهم من القضاء على
الطامعين بخيرات وادي الرافدين والحد من محاولات الانفصال الى
ان تمكن الحثيون سنة ١٥٩٥ ق.م بقيادة ملكهم مرشيليش الاول
من مهاجمة بابل وتدميرها ثم اقلوا راجعين الى اسيا الصغرى
محملين بالغنائم والكنوز التي لا تحصى بعد سماعهم بحدوث
مؤامرة في البلاط الحثي كان من نتائجها اغتيال مرشيليش الاول
بعد عودته مباشرة وتركت بابل في فوضى سياسية واقتصادية بعد
ان غزاها الحثيون واحرقوا قصورها ومعابدها وربما تركوا فيها
حامية قليلة فاستغلت الأقوام الكشية ذلك فهاجمت بلاد بابل
وتمكنت من السيطرة عليها واقامت فيها سلالات حاكمة استمرت
عدة قرون.

أما في القسم الجنوبي من البلاد فقد قامت فيه ثورة داخلية ضد سلطة ونفوذ بابل قام بها ايلوما - ايلوم وتمكن من الاستقلال في المناطق الجنوبية من البلاد مؤسساً بذلك ما يعرف في تاريخ العراق القديم بـ (سلالة القطر البحري) لمجاورتها لمناطق الخليج العربي والاهوار الجنوبية، وقد عرفت أيضاً باسم سلالة بابل الثانية (١٧٤٠ - ١٥٠٠ ق.م) وقد خصصت لها جداول اثبات الملوك احد عشر ملكاً. وتلا قيام هذه السلالة سلسلة حروب ما بين ملوكها وبين ملوك سلالة بابل الاولى دمرت خلالها مدن جنوبية مهمة، وظلت هذه السلالة منفصلة عن ملوك بابل الى مطلع السيطرة الكشية حيث قضى على استقلالها في حدود ١٥٠٠ ق.م.